مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 4 (رت 78) السنة: 2024

الاستعارة ودلالة التوكيد في الخطاب القرآني

Metaphor and emphasis in Quranic discourse

زينب عقون[1]
طالبة دكتوراه جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية-
مخبر التأويل و تحليل الخطاب
zineb.aggoun@univ-bejaia.dz
د.سعيد خنيش
جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية
مخبر التأويل و تحليل الخطاب تاريخ
said.kheniche@univ-bejaia.dz -

تاريخ الوصول 2024/02/17القبول2024/06/01النشر على الخط 2024/06/15
Received17/02/2024Accepted01/06/2024Published online 15/06/2024

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى الوقوف عند الاستعارة ووظيفتها في توكيد المعاني في الخطاب القرآني، فهي من صور الإعجاز فيه، باعتبارها تجمع بين جمال اللفظ ودقّة التعبير وروعة التصوير وبراعة النظم؛ ولهذا حاولنا بيان دورها في الخطاب القرآني تحديدًا، بالوقوف عند وظيفتها التوكيدية لمعانيه ومقاصده، بإبراز الآليات التي أتاحت لها ذلك.

وقد توقفنا عند مجموعة من المسائل، بدءًا بمفهوم الاستعارة، وبعدها تمّ عرض أنواعها ووظيفتها التوكيدية في الخطاب القرآني، ثمّ عرّجنا على إبراز بعدها الحجاجي فيه، وفي الأخير تمّ بيان التركيب النحوي للاستعارة وعلاقته بالمعنى، اعتمادا على نماذج تطبيقية من الخطاب القرآني، قصد توضيح كلّ عنصر من هذه العناصر.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني؛ التوكيد؛ الاستعارة؛ البعد الحجاجي؛ التركيب النحوي.

Abstract:

This research seeks to stand at the metaphor and its function of affirming meaning in the Quranic discourse. It is one of its miracles, as it combines the beauty of the word with the accuracy of expression, the splendour of photography and the ingenuity of systems; That's why we tried to articulate its role in the Koranic discourse specifically, by standing up to its assertive function for its meanings and purposes, by highlighting the mechanisms that allowed it to do so.

We stopped on a range of issues, starting with the concept of metaphor, after which their types and assertive function were presented in the Koranic discourse, and then we pointed out the aftermath of the arguments in it, and finally the grammatical composition of the metaphor and its relationship to the meaning, based on applied models of the Quranic discourse, in order to clarify each of these elements.

Keywords: *Quranic discourse; Emphasis; metaphor; The pilgrimage dimension; Grammatical composition.*

1المؤلّف المراسل: زينب عقون البريد الإلكتروني: **zineb.aggoun@univ-bejaia.dz**

1. مقدمة:

الخطاب القرآني هو كلام الله المعجز ببراعة تأليفه وبديع تصويره وجودة نظمه، حتى بدا العرب عاجزين عن الإتيان بمثله، رغم ما عرفوا به من فصاحة اللسان. تزخر أساليبه بالبلاغة التي تجمع بين فصاحة اللفظ وجودة الصياغة وفيض المعاني، منها أسلوب الاستعارة، وهي الصورة الجمالية الأكثر حملا للمعاني وتحقيقا للإبداع الفنّي وتأثيرا في المتلقي.

والاستعارة أداة للتعبير عن المعاني الذهنية والحالات النفسية، وتمثيلها تمثيلا حركيا مجسّما، يضفي عليها طابع التجّسيد والتشّخيص، مما يجعلها أكثر تأثيرا على الذهن ورسوخا فيه، وأكثر تحريكا للعقل، وقد أهّلها ذلك لأن تتخذ ركيزة من ركائز التعبير في الخطاب القرآني، فحظيت باهتمام الدارسين منذ القدم، مجمعين على حقيقة واحدة، مفادها أنّ أهمّ وظائف الاستعارة رغم تعدد أنواعها هي الوظيفة التوكيدية التي تتعلق بإثبات المعاني وتوكيدها، ولاسيما حين يتعلق الأمر بالخطاب القرآني الذي يمثل مصدر تشريع لما يتضمنه من أحكام وجب توكيدها، ومن مساع دلالية تشمل جميع مناحي الحياة؛ إذْ جاءت ألفاظه وأساليبه ملائمة لحمل المعاني وتبليغها بدقّة، بما تحمله من أساليب متنوعة منها الاستعارة التي آثرنا أن تكون موضوعا لدراستنا هذه، انطلاقا من الإشكالية المتمثلة في ما يلي: ما المقصود بالاستعارة؟ ما أنواعها؟ وكيف تُسهم في توكيد معاني الخطاب القرآني؟ ما أبعادها الحجاجية ؟ وما علاقة التركيب النحوي للاستعارة بالدلالات التي تحملها في سياق الكلام؟

تكمن أهميّة هذا البحث في ما يُكشف عنه من وظائف الاستعارة في توكيد معاني الخطاب القرآني، من خلال بيان طاقتها التعبيرية، والآليات اللغوية التي أتاحت لها تحقيق البعد الحجاجي فيه.

إنّ المسعى من هذا البحث هو:

- بيان عظمة القرآن الكريم وإعجاز أساليبه، انطلاقا من نموذج أسلوب الاستعارة.
- بيان دور أسلوب الاستعارة ووظيفتها في توكيد معاني الخطاب القرآني.
- إبراز الآليات التي أتاحت للاستعارة وظيفة التوكيد للمعاني.

تمّ الاعتماد في هذا البحث على المنهج الوصفي، مع تحليل وظيفة الاستعارة بأنواعها المتعددة في توكيد المعاني، وإبراز بعدها الحجاجي، بالوقوف عند آيات كريمات من النص القرآني.

لقد شهد موضوع الاستعارة في القرآن الكريم مؤلفات عديدة قديما وحديثا، قصد بيان أسرارها البلاغية ووظائفها التركيبية، فقد عرض لها البلاغيون قديما ولعل أبرزهم: الجاحظ(ت:255هـ)، والسكاكي(626هـ)، والجرجاني(471هـ)، وابن الأثير(630هـ)، والباقلاني(403هـ)... وغيرهم، ومن المؤلفات القديمة فيها نذكر:

- (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني.
-(مفتاح العلوم) للسكاكي.

ومن المؤلفات الحديثة:

- (علوم البلاغة) لراجي أسّمر.
- (مدخل إلى البلاغة العربية) ليوسف أبو العدوس.
- (فنّ الاستعارة) لأحمد الصاوي.

ينقسم هذا البحث إلى مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة، وهو على النحو التالي:

مقدّمة: تضمنت إشكالية البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة المتعلقة به، وخطته.

عرض:تضمن العرض أربعة مباحث، خصص المبحث الأول لبيان مفهوم الاستعارة لغة واصطلاحا، أمّا الثاني تضمن أنواع الاستعارة ووظيفتها في توكيد المعاني في الخطاب القرآني، والثالث عرضنا فيه البعد الحجاجي للاستعارة في الخطاب القرآني، والرابع تناولنا فيه التركيب النحوي للاستعارة.

خاتمة: تضمنت مجموعة من النتائج التي توصل إليها البحث.

2. تعريف الاستعارة:

1.2.لغة :

ارتبط المفهوم اللغوي للاستعارة بمصطلح العارية، فهي: "بمعنى العارية، منسوبة إلى العارة، وهو اسم من الإعارة، يقال: أعرته الشيء أعيره إعارة كما قالوا: أطعت إطاعة وطاعة".[1]

وجاء في لسان العرب، " العارية ما تداوله الناس بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه، وعاوره إياه، والمعاورة والتعاور شبه المداولة، وتعور استعار، طلب العارية، واستعار الشيء طلب منه أن يعيره إياه. [2]

كما عرّفها أحمد مطلوب بقوله: "من العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر، حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه". [3]

فالاستعارة إذا في معناها اللغوي لا تخرج عن مفهوم الأخذ والعطاء، وهي مأخوذة في مصطلحها من الإعارة، أي إعارة شيء من شيء آخر لعلاقة بينهما.

2.2. اصطلاحا:

للمعنى الاصطلاحي للاستعارة علاقة مباشرة بهذا المعنى اللغوي، فقد عرّفها الجرجاني (ت: 471 هـ) بقوله "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا، تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، ونقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك عارية . [4]

وحاول ابن الأثير (ت:630 هـ) بيان سبب تسمية الاستعارة بهذا الاسم بقوله: "إنّما سمي هذا القسم من الكلام استعارة؛ لأنّ الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من الحقيقة التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من البعض شيئا، ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما سبب معرفة، ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار على استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"[5]، فمثلا قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ**

---

1 أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ، تهذيب اللغة،ج:3، تح: الدكتور عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ط1، (1967م)، ، مادة: عار.

2 ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت، ط1، (1957م) ص334.

3 مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد،ج1،ط1، (1983م)، ص136.

4 الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ط1، (1991م).ص 30.

5 الصاوي أحمد عبد السّيد، فنّ الاستعارة، دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،(1979م)، ص 17.

عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾(البقرة :250)، شبّهت فيه حالهم والله عزّ وجلّ يفيض عليهم بالصبر بحال الماء يصب ويفرغ على الجسم فيعمه كله" [1]، فصفة الماء هي التي أهلته للتمثيل به.

فالاستعارة إذا وليدة التشبيه، هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، على أن تكون هناك قرينة دالة على الطرف المحذوف، لذلك تمثل أهم ألوان البيان وأبلغ المجازات اللغوية؛ إذ يعتبرها ابن رشيق (ت:456هـ) أفضل المجاز، وأوّل أبواب البديع، لِما تحمله من اتساع في الكلام واقتدار، وليس لضيق في اللفظ، وإنّما رغبة في الاختصار؛ كما اعتبرها القاضي الجرجاني (ت:392 هـ) أحد أعمدة الكلام وأساسه، بها يتمّ التوسع، برسم صور متعددة الأجزاء تتمكن من تلخيص معان عديدة، وهو الهدف من استعمالها، فهي أوجز وأبلغ من التشبيه لأنها تتجاوزه؛ إذ كلّما قوي الشبه بين المشبه والمشبه به كان اللجوء إلى الاستعارة أكثر فنيّة، وأرقى بياناً، وأبعدَ عن الإطناب، وأرضى للأذواق الأدبية [2]، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾(الإسراء: 24) ، شبّه الذل بطائر له جناح وحذف الطائر، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الجناح على سبيل الاستعارة المكنية" [3]، الهدف منها التعبير عن المعنى بصورة فنية أساسها المبالغة في التشبيه، واختصار معانٍ كثيرة في عبارة وجيزة، لها وظيفة جمالية وتأثيرية على المتلقي، تجعل المعنى أكثر تجسيدا ورسوخا في الذهن، ومن ثمّ تقريره وتوكيده.

ويذهب(أرسطو(Aristote) إلى أنّ الاستعارة لا تقوم على التشبيه فحسب، بل تحتاج إلى عين مبتكرة ومبدعة تقوم بتحويل التنافر بين الأشياء إلى تشابه، يقول في كتابه "فن الشعر": "الانغمار في الاستعارة يتطلّب عَيْناً لالتقاط المتشابهات"[4] .

فالعملية الاستعارية إذا ليست بالبسيطة، إنّما تحتاج إلى حُسن اختيار الطرفين المستعار والمستعار منه، وكلّما كانت موفقة في ذلك أسهمت في تنميّة اللّغة بخلق صور جديدة، لها وظائف تعبيرية متنوعة منها وظيفة التوكيد للمعاني، ففي قوله تعالى: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾(الدخان:49)، "يقصد: ذُقِ العذاب، فيتحوّل العذاب إلى طعام يتذوقه الإنسان، ولا توجد كلمة تجمع بين صفتين سواها، حيث جمع بين الوصف والسخرية؛ فهي تصف تجرعه للعذاب بعملية حيوية وهي التذوّق مع السخرية منه، فتظلّ كلمة (تذوق) ملهمة لنا لاستخراج استعارات جديدة كل يوم، فنقول: سأذيقه العذاب ألوانًا، أو نقول: ذق نتيجة أفعالك". [5]

ويذهب محمد مفتاح إلى أنّ الاستعارة تقوم على عدة مرتكزات وهي:[6]

_ أنّ الاستعارة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة.

– أنّ الكلمة أو الجملة ليس لها معنى حقيقي محدد بكيفية نهائية، إنّما السياق هو الذي ينتجه.

– أنّ الاستعارة لا تنعكس في الاستبدال، إنما تحصل من التواتر والتفاعل بين بؤرة المجاز وبين الإطار المحيط بها.

– أنّ المشابهة ليست العلاقة الوحيدة في الاستعارة، فقد تكون هناك علاقات أخرى غيرها.

---

1 الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، مج:1، دار الصابوني للطباعة والنشر، مدينة نصر، مصر، ط2، (1997م) ص195.

2 الميداني عبد الرحمان حسن، البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996م، ص227.

3 الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ص156.

4 أرسطو طاليس فن الشعر، تر: شكري محمد عياد، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، ط1(1967م)، ص128.

5 عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، (2014م)، ص14.

6 مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،(1985م). ص83.

– أنّ الاستعارة ليست مقتصرة على الهدف الجمالي والقصد التشخيصي، إنّما هي ذات قيمة عاطفية ووصفية ومعرفية، فمثلا في قوله جلّ في علاه: ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾ (الإسراء:29) جاء في صفوة التفاسير أنّ فيه " استعارة تمثيلية، مثّل للبخيل بالذي حبست يده عن الإعطاء، وشدّت إلى عنقه بحيث لا يقدر على مدّها، وشبّه الإسراف ببسط الكفّ بحيث لا تحفظ شيئا"[1]، وفي قوله جلّ جلاله: ﴿ **كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي** ﴾ (الكهف:101)، معنى أنّهم "كانوا ينظرون فلا يعتبرون، وتعرض عليهم الآيات الكونية فلا يؤمنون، ولم تكن أعينهم حقيقة في غطاء وحجاب، إنّما هو بطريق التمثيل."[2].

3. أنواع الاستعارة ووظيفتها التوكيدية في الخطاب القرآني

تنوعت تقسيمات الاستعارة عند البلاغيين وتعددت، وذلك لاعتبارات عديدة، والخطاب القرآني زاخر بكل هذه الأنواع لتحقيق وظائف بلاغية عديدة أهمّها وظيفة التوكيد، فقد كان لها حضور واسع فيه، ولأنّه يمثل رسالة ربانية فإنّ الله جلّ جلاله عمد إلى أساليب لتبليغ هذه الرسالة وتثبيتها في نفوس البشر، فكثر فيه أسلوب التوكيد بآلياته المتنوعة النحوية والبلاغية، يقول "لحبيب أعراب" في كتابه "الاستدلال والحجاج": "إنّ وراء كل حجاج بلاغة والعكس صحيح؛ لأنّ مدار ذلك هو الإغراء و الاستغواء قصد الإقناع والإمتاع" [3] ، وتتمثل تقسيمات الاستعارة كالآتي:

1.3 باعتبار طرفيها:

وهي تصريحية ومكنية.

1.1.3 الاستعارة التصريحية:

هي "ما صرح فيه بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيه لفظ المشبه به للمشبه" [4] ، وقد كثر حضورها في الخطاب القرآني مقرونا بوظيفة الإقناع والتوكيد، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ﴾ (الكهف: 14)، ففي عبارة "ربطنا على قلوبهم" استعارة تصريحية شبّه فيها ثبات الإيمان في قلوبهم بالربط على الأيدي وهو الشد بالحبل؛ "والمراد قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى الكهف"[5]؛ فالمراد بالربط هو تثبيت الإيمان، حيث شبه إثبات العقيدة في قلب أهل الكهف بعملية الربط، وفي ذلك تجسيد للمعنوي بالملموس، مما يجعل المعنى أكثر ثبوتا وتأثيرا في ذهن المتلقي، فتتحقق الوظيفية التوكيدية للمعنى، وهذا ما ذهب إليه الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، حيث أورد نماذج تطبيقية حول الاستعارة التصريحية ووظيفتها التجسيدية، كقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾(الإسراء: 16)، حيث شبّهت الإضاءة بالأبصار، فهو أفصح من مضيئة، وهذه الاستعارة، استعارة معقول لمحسوس، والاستعارة التصريحية التي ترتكز على ذكر المستعار منه، تمثل آلية للتصوير وتجسيد المعنوي بالملموس، تجعل المعنى أكثر وضوحا وجلاءً، ومنه أكثر تأثيرا على النفس وثبوتا فيها.

---

1 الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ص156.

2 المرجع نفسه، ص200.

3 أعراب لحبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي"عناصر استقصاء نظري"ضمن كتاب"الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج3، إعداد وتقديم :حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن.ط1، (2010م)، ص 24.

4 عتيق عبد العزيز، علم البيان في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، (1985م). ، ص 172.

5 الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ص188.

2.1.3 الاستعارة المكنية:

هي "ما حذف فيه المشبه به أو المستعار منه ورمز إليه بأحد لوازمه" [1]، على أن تكون هناك قرينة دالة على الطرف المحذوف وهي ما أطلق عليه الزركشي تسمية الاستعارة بالكناية، ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**﴾(التكوير: 18)، حيث شبّه الصبح بإنسان فذكر المشبه (الصبح) وحذف المشبه به (الإنسان) والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي (تنفس)، فهي استعارة مكنية حيث شخص الصبح فصارت له خاصية إنسانية وهي التنفس التي لا تخفى عن أحد، فساهمت في إبراز المعنى وجعله أكثر ثبوتا في الذهن.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾(مريم:04)، حيث المستعار منه هو النار والمستعار له هو الرأس، وهي استعارة بالكناية؛ لأنّه ذكر المشبه (الرأس) وحذف المشبه به (النار) والقرينة هي (اشتعل)، فعملت الصورة على تجسيد عملية ظهور الشيب بالاشتعال، وهو شيء مرئي للأعين، ومؤثر في النفس وبذلك يتحقق الثبات للمعنى ، يقول الزمخشري: "شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار...ومن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة" [2]، فالتجسيد يساهم في تحقيق الوظيفة التأثيرية، وهذا ما يسخر لها تأدية الأغراض الحجاجية والتوكيدية.

2.3 باعتبار ذاتها:

وهي نوعان تحقيقية وتخيلية.

1.2.3 الاستعارة التحقيقية:

هي أن يشترك شيئان في وصف واحد، أحدهما أنقص من الآخر، فيعطى الناقص اسم مبالغة في تحقيق ذلك الوصف، كقولك: رأيت أسدًا، وأنت تعني رجلاً شجاعاً" [3]، كما في قوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾(الفاتحة:6)حيث "شبه دين الحق بالطريق المستقيم وطلب الهداية بمعنى سؤال العبد ربه التوفيق؛ لأداء ما كلّفه الله تعالى به من فرائضه فيما يستقبل من عمره" [4]، فتعمل الاستعارة على جعل الصورة حقيقية، لغرض تبليغ المتلقي وتنبيهه فيكون المعنى أكثر عمقا وتأثيرا عليه.

2.2.3 الاستعارة التخيلية:

هي كما عرّفها العلوي: "أن تستعير لفظا دالا على حقيقة خيالية تقدرها في الوهم، ثم تردفها بذكر المستعار له إيضاحا له وتعريفا لحالها" [5]، وقد ورد هذا النوع من الاستعارة كثيرا في الخطاب القرآني، متعلقا بوظيفة التوكيد، كما في قوله تعالى:﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ (الحشر:21)، حيث شبه الجبل وهو في حالة الخوف والخشوع لله تعالى بالإنسان، والجبل لا يملك مشاعر الخوف، بل ذلك من صفات الإنسان، وهذا ما ساهم في إثبات حقيقة مفادها " ما للقرآن الكريم من عظمة يتصدع له الجبل" من خشية الله سبحانه، حذرا من عقابه وخوفا من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله، وهذا تمثيل يقتضي علو شأن القرآن الكريم

---

1 عتيق عبد العزيز، علم البيان في البلاغة العربية، ص185.

2 الزمخشري محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، الكشّاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3 (2009م)، ص93.

3 ابن قيّم الجوزيه شمس الدين أبو عبد الله محمد، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان،، تح: محمد أمين الخانجي، دار النشر السعادة، مصر، ط1، (1909 م)، ص 48.

4 الطبري أبو جعفر ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج:1، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد المنعم مذكور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط5، (2012م)، ص 31.

5 العلوي يحي بن حمزة بن على بن إبراهيم الحسيني العلوي، الطراز في أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 (2003م)، ص111.

وقوة تأثيره على القلوب" [1]، وهذا ما يجعل المتلقي بمثابة المشاهد للحدث فيعمل ذلك على زيادة المعنى قوة ويجعل المتلقي ينتج صورا في خياله وحركة تثبت المعاني فيه.

3.3 باعتبار لفظها:

هي نوعان تبعية وأصلية:

1.3.3 الاستعارة التبعية:

"هي ما يقع في غير أسماء الأجناس، كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف" [2] ، أي ما كان فيه اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا أو حرفا، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ**﴾(الأعراف:154) حيث "شبه الغضب بإنسان يرعد ويزمجر بصوته آمرا بالانتقام ثم اختفى هذا الصوت وسكت، ففي الكلام استعارة مكنية"[3]، حيث اللفظ المستعار(سكت)، وفيها قوة التشخيص للمعنى، وبالتالي توكيده وإقراره.

2.3.3 الاستعارة الأصلية:

هي "أن يكون المستعار اسم جنس كرجل أو أسد، وكقيام وقعود"[4] ، أي ما يستعار فيه اللفظ من الاسم الجامد غير المشتق، كما في قول الشاعر:

عضّنَا الدَّهرُ بِنَابِه****ليتَ مَا حَلَّ بِنَا بِه.

فشبه الدهر بالحيوان المفترس الذي يستخدم نابه، والمشبه (الدهر) اسم جامد، وقد جاء نموذج هذه الاستعارة في الخطاب القرآني متعلقا بوظيفتي التجسيد والتشخيص اللتين من شأنهما تقرير المعنى وتوكيده كما في قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾(إبراهيم: 1)، حيث "استعير لفظ الظلمات للكفر والضلال، والنور للهدى والإيمان"[5]، وهما لفظان كلاهما جامد، حيث تمت استعارة محسوس لمعقول، وفي ذلك قوة التجسيد للمعنى وتوكيده.

4.3 باعتبار الملائم:

هي ثلاثة أنواع مرشحة ومجردة ومطلقة.

1.4.3 الاستعارة المرشحة:

هي "ما قرن بما يُلائم المستعار" [6]، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(الأحزاب: 33)، فقد أشار الشوكاني في تفسيره إلى أن المشبه به هو المعصية، والترشح لها بالتّطهير" [7]، وهي بذلك تعتبر أفضل أنواع الاستعارات من حيث قدرتها على تحقيق المعاني وجعلها أكثر تجسيدًا، وذات وظيفة تأثيرية تساهم في توكيد المعاني.

---

1 الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4،(2007م)، ص 247.

2 السّكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1998م).، ص 486.

3 الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ص468.

4 السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، ص489.

5 الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ص92.

6 القزويني أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود، الإيضاح في علوم البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (2002م)، ص301.

7 الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص344.

2.4.3 الاستعارة المجردة:

هي "ما قرن بما يُلائم المستعار" [1]، وقد سميت بالمجردة لأنها مجردة من عامل تقوية الادعاء فيها، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾(النحل: 112) فذهب الشوكاني إلى أن تسمية اللّباس للجوع والخوف دلالة سوء الحال، فاستعمل اللباس ملائمًا للمستعار له وهو الجوع والخوف، وهي بذلك استعارة مرشحة "روعي فيها جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحاً " [2] ، وعامل الوضوح يؤدي إلى توكيد المعنى وإثباته في الذهن.

3.4.3 الاستعارة المطلقة:

هي ما خلا من ملائمات المشبه والمشبه به (المستعار له، والمستعار منه)، أو ما ذكر فيه ما يلائمهما معًا، كما في قوله تعالى﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾(الحاقة:11)، فقد شبهت زيادة الماء بالطغيان، لاشتراكهما في تجاوز الحد، وليس فيها ما يلائم الطرفين يقول عتيق عبد العزيز: "إذا تأملنا هذه الاستعارة رأيناها خالية مما يلائم المشبه به والمشبه، ولهذا سميت استعارة مطلقة" [3]، فرسم المعنى وتمثيله يجعله أكثر ثباتا ورسوخًا في الذهن.

5.3 الاستعارة التمثيلية:

هي كما عرّفها الميداني "استعارة يكون فيها المستعار لفظًا مركبًا، وهذا اللّفظ المركب يستعمل في غير ما وضع له في الاصطلاح" [4]، فهي مجاز مركب يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد؛ تعتمد على صورة متعددة الأجزاء، فتقوم على نقل العبارة من موضع إلى آخر وإكسابها دلالات جديدة لم توضع لها في الأصل اللّغوي، والغرض منها التوسع والتوضيح والمبالغة في التشبيه، ومثالها قوله تعالى:﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾(البقرة:7)، وفيه تمثيل لمشهد حال الكفار وهم غافلون عن التمييز بين الحق والباطل بقلوب البهائم التي ختم الله عنها؛ ويذهب ابن عاشور إلى أنّ هذه الآية تعليل لحكم سابق هو قوله تعالى: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ**﴾(البقرة:6)[5]، وفيه تجسيد للمجرد بالمحسوس، فتحققت الغاية التوكيدية. فالغرض من التمثيل هو المبالغة في التشبيه، وهذا ما يبيّنه القزويني عند تعريفه للاستعارة التمثلية بقوله: "اللّفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، وقد سمي التمثيل مطلقًا" [6]؛ ففي قوله تعالى: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾(الأنبياء: 18) مثل الصراع المعنوي بين الحق والباطل بصورة حسية وهي أن "حجج الحق وبراهينه تصيب رأس هدفها فتكسره، وتنفذ إلى دماغه وترده صريعًا قتيلا" [7]؛ والتجسيد يضفي الحركة على الصورة وبالتالي يساهم في تأكيد المعنى.

---

1 القزويني أبو عبد الله زكرياء بن محمد بن محمود ، الإيضاح في علوم المعاني والبيان والبديع، ص300.

2 الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص252

3 عتيق عبد العزيز ، علم البيان والبلاغة العربية، ص 172.

4 الميداني عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها، ص165.

5 بن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار النشر التونسية، تونس، ط1، (1997م)، ص 247.

6 القزويني أبو عبد الله زكرياء بن محمد بن محمود ، الإيضاح في علوم البيان والمعاني والبديع، ص305.

7 الميداني عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية، ص168.

4. البعد الحجاجي للاستعارة في الخطاب القرآني

يمثل الحجاج أكثر الأنماط الخطابية المعتمدة في الحياة اليومية للناس؛ لأنّه يرتبط بتحقيق التواصل في جميع مجالات الحياة بصورة تجعله بعيدا عن الشك والخلاف، والهدف الأول منه هو الإقناع ودفع المعارضة، يسعى إلى جعل العقول تتقبل ما يعرض عليها، لذلك يعتمد على آليات كثيرة ومتنوعة، منها الوسائل البلاغية القائمة على التصوير الفني، كالاستعارة، فالصياغة الفنية للصورة البلاغية تجعل الكلام أكثر تأثيرا على المتلقي فتكون موجهة إلى فكره ووجدانه معا. ففي قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾(آل عمران: 185)، شبه الموت بالطعام يقول عطيه سليمان: "إننا نفهم من خلال التذوق كيف تتجرع النفس آلام الموت بمنتهى الإدراك والشعور لما يحدث حولها، كما يشعر المتذوق لذة الطعام والشراب الذي يقدم إليه بخصائصه [1] .

وللاستعارة طاقة حجاجية كبرى؛ لأنّها إحدى أهمّ وسائل التمثيل والتصوير والتشخيص للمعاني والخطاب القرآني أكبر مساعيه تحقيق الإقناع للمتلقي، وهذا ما يبرر الحضور الواسع للاستعارة فيه، فالعرب منذ القدم كانوا يعتمدون في خطاباتهم على الصور المستمدة من عالم الخطاب عندهم، انطلاقا من كفاءات المتلقين المعرفية والنفسية والاجتماعية...وغيرها، ففي قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾(الصف10) حيث المقصود بالتجارة "الإيمان الصادق والجهاد بالمال والنفس"[2]، فالمعنى الظاهر هو البيع والشراء ولكن المعنى المقصود هو الثواب مقابل الطاعة، فالاستعارة هنا استمدت عناصرها من عالم المخاطبين، مما جعلها أكثر قربا إلى الأذهان وبالتالي تزداد الطاقة الحجاجية عندها، فيتحقق غرض التوكيد، ويصبح المعنى بعيدا عن الجدال والتعارض.

ويتضح البعد الحجاجي للاستعارة من خلال تقسيم (أرسطو)(Aristote) لها، فقد قسمها إلى ثلاثة أصناف هي التالية: [3]

– الاستعارة الحجاجية: تستعمل في المحاكم والمجالات السياسية، بهدف التأثير علي المتلقي بتغيير مواقفه الفكرية والعاطفية.

– الاستعارة الشعرية: وهي المعتمدة في بناء نظام الخطاب جماليا.

_ الاستعارة الاستشارية: أو الجمهورية، وهي المعتمدة في حالة الإخبار والإبلاغ دون غيرها.

الاستعارة عبارة عن فكرة تتم صياغتها بصورة فنية، الغرض منها قوة التأثير على المتلقي لتكون أكثر رسوخا في الذهن وأكثر تحريكا للوجدان، فيتحقق غرض الإقناع عنده يقول الجرجاني: اعلم أنّ قولنا الصورة إنّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا [4] ، ففي قوله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ (إبراهيم:1)، يكمن البعد الحجاجي التداولي في هذه الصورة في أنّ الظلمات والنور لها تأثير كبير في النفوس؛ لأنّها مستمدة من عالم المتلقي.

1 عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، ص 24.

2 الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، ص365.

3 لمجادي سورية، دلالات الاستعارة في شعر محمد عفيفي مطر، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، (2010م/2011م) ص54.

4 الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، ص 67.

والاستعارة في الخطاب القرآني رغم بعدها الجمالي، إلا أنّ الهدف منها يتعلق بالمجال الحجاجي التداولي، فقد أقرّ الجرجاني ببعدها الحجاجي، وربطها بوظيفة الإقناع والتجسيم للمعاني، وهذا التجسيم من شأنه توكيدها وإثباتها، يقول في ذلك:" وإنّ شئت أرتك المعاني التي هي من خبايا العقل، كأنّها قد جسمت حتى رأتها العيون لفظت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون" [1] .

تعتبر الاستعارة عند الجرجاني وسيلة من وسائل الإقناع وأهمّ آلياته، باعتبارها تقوم على أساس ادعاء شيء مكان شيء آخر، وذلك بإثارة المشاعر والانفعالات بدل استعمال الحجج المنطقية العقلية، وهذا ما أكّده الصاوي بقوله: "إنّ أمر البيان عند ناقدنا ليس إقناعا منطقيا ولكن للتصوير الفني فيه قيمة كبيرة من حيث تأثيره في النفس، وهو يصل إلى الإدراك العقلي عن طريق التشبع الحسّي، وبهذا كان الخيال عند الجرجاني أداة من أدوات الإقناع، ولكن بطريقته الخاصة التي تتخذ من الأحاسيس والمشاعر والوجدان طريقا لها". [2]

ولقد فرّق الجرجاني بين نوعين من المعاني، ما هو عقلي يستند إلى المنطق والحكمة، وما هو تخييلي مبني على الإبهام وحسن التعليل، فأخرج الجرجاني الاستعارة من باب التخييل، بل جعلها وسيلة لإثبات المعاني وتوكيدها، ومردّه في ذلك أنّها كثيرة الورود في الخطاب القرآني، والذي يعدّ كلاما ثابتا لا مجال للشكّ والتأويل فيه[3].

فحجاجية الاستعارة إذاً تتحقق من خلال قدرتها على التأثير في النفوس، كما أنّها وسيلة للتوضيح والاستدلال؛ يرى (الصاوي) أنّ الاستعارة نوع خاص من الاستدلال العقلاني، ففي قوله تعالى: ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾(الدخان: 29)، فقد استطاعت الآية إثبات صورة هلاك الكفار وعدم الحزن عليهم من خلال صورة تمثيلية؛ "كان من عادة العرب إذا مات رجل ذو شأن عظيم أن تقول بكت عليه السماء والأرض تمثيلا لشدة حزنهم عليه [4].

فالخطاب القرآني عموما ذو بعد حجاجي، فهو يهدف إلى التأثير على المخاطبين بالإقناع، فاتخذ آليات كثيرة تحقق الغرض، منها الاستعارة بجميع أنواعها، فقد كان لها حضور واسع فيه؛ لأنّها مرتبطة بالوظيفة الحجاجية، إلى جانب الوظيفة الجمالية التعبيرية، فاستطاعت أن تضفي على القرآن الكريم بعدا تداوليا حجاجيا.

5 التركيب النحوي للاستعارة:

إن وظيفة النحو لا تقتصر على تتبّع العلامات الإعرابية والبنائية فحسب، بل تتعداها لتشمل معاني الكلام ومقاصده، وهذا ما أشار إليه سيبويه في تقسيمه للكلام، حيث أكّد أنّ وظيفة النحو لا تقف عند مجرد سلامة النطق والتركيب، وقد اهتم أئمة اللّغة منذ القدم بالكشف عن المعنى من خلال النحو، وخاصة في تفسير معاني القرآن الكريم؛ إذ تفطن اللغويون عمومًا والبلاغيون خصوصا إلى أنّ المعنى يختلف باختلاف بني النحو وصيغ الكلام، واستند علم البلاغة إلى جهود اللغويين في تأسيسه، وارتكز على عدّة علوم أهمها علم النحو نظرًا للصلة الوثيقة بين تركيب الجملة نحويًا ونظمها.

فلعلم النحو غاية كبرى تتمثل في الوصل بين النحو والبلاغة، أي بين سلامة النظم وتحقيق المعاني، ولهذا يعتبر الإعراب المفتاح المعتمد في تفسير معاني الخطاب القرآني وبيان مقاصده، ثم إدراك مواطن الإعجاز البياني فيه؛ والاستعارة تمثل أهمّ مظاهر التركيب النحوي المبدع في القرآن الكريم، فنظمها يجعل اللفظ يدور حيث يدور المعنى.

---

1 الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح:خفاجي محمد عبد المنعم، مكتبة القاهرة، مصر، (1980م)، ص131.

2 الصاوي أحمد عبد السيد، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنّقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، ، ص86.

3 الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح:خفاجي محمد عبد المنعم، ص199.

4 الزمخشري محمود بن عمر، الكشّاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ص270.

تعتبر نظرية النظم للجرجاني أهمّ ما بيّن وظيفة التركيب النحوي وكَشَفَ عن دوره في تحقيق المعاني، فربط البلاغة –ومن أدواتها الاستعارة – بالنظم النحوي الذي يجعلها ذات معان مترابطة، لا يمكن أن يتحقق أثرها المعنوي والجمالي بعيدًا عنه؛ لأنّ العبارة الاستعارية تتحقق من خلال التأليف والتركيب الاستعاري، يقول: "ليس النظم سوى أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله"[1]، فذهب إلى أنّ الألوان البلاغية قبل نسبتها الى البلاغة، تنسب الى النحو؛ لأنها قائمة على تعليق الألفاظ؛ ففي قوله تعالى: ﴿ **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾(مريم: 4) استعارة حيث شبّه ظهور الشيب بالاشتعال، غير أنّ التركيب النحوي للاستعارة يجعلها أكثر قوة وتحقيقاً للمعاني، فلو كانت العبارة "اشتعل شيب الرأس" لكان المعنى أقل فصاحة وبيانًا، حيث تفيد نسبة فعل الاشتعال إلى الفاعل (الرأس) دلالة الشمول الناتج عن سرعة ظهور الشيب وكثافته. فلكل صياغة نحوية إذن درجة بلاغية تختلف عن غيرها باختلاف صياغتها، وهذا ما يؤكد درجة التفاعل بين البنية النحوية والمعنى الدلالي.

فقد ربط صاحب (دلائل الإعجاز) الاستعارة بقضية النظم يقول: "إنّ الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم، وعنها يحدث وبها يكون؛ لأنّه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلام وهي أفراد لم يتوفر فيما بينها حكم من أحكام النحو"[2]، وفي ذلك يقول أيضا:" ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها، إنّما تملّكها الحسن وانتهى حيث انتهى لما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، ونجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها" [3] .

ويمثّل الخطاب القرآني أحسن نموذج للسلامة النحوية، مع جودة التركيب والصياغة، ففي قوله تعالى: ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾(التكوير:18) أسلوب استعاري، وهو دلالة واضحة على مدى ارتباط المعنى بالتركيب النحوي، فقد شُبِّه إقبال النهار بنسمات الهواء، فاستعير لفظ " تنفس" للدلالة على زوال الليل الدامس يقول الزمخشري: "إذا أقبل الصبح بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسًا له مجاز وقيل تنفس الصبح[4]، وأسهم التركيب النحوي في تحقيق هذا التصوير الاستعاري الذي ارتقى بدرجة التأكيد للمعنى على النحو الآتي:

– الانزياح في التركيب: حيث تقدمت كلمة الصبح في الآية مما حقق أسلوب القسم وهو من أهم آليات توكيد المعنى فلو كان الكلام على نحو " وإذا الصبح تنفس " بتقديم أداة الشرط غير الجازمة ، إذا " لكان أسلوب القسم غير وارد.

– الجمع بين الشرط والقسم والتركيب الاسمي للجملة، وكلها ضمن مؤكدات الكلام.

– التركيب الإسنادي المتمثل في إسناد عملية التنفس إلى الصبح خلق صورة تشخيصية للمعنى، حيث شخص الصبح وأسندت له صفة إنسانية تشع بالحيوية، وهذا في شأنه رسم الفكرة في الذهن.

وذهب فاضل السامرائي، إلى أنّ المعنى هو الأساس الأول في الدراسة النحوية، وقد اعتنى بالمعنى في دراساته النحوية عناية كبيرة، ففي كتابيه "معاني النحو" و"معاني الأبنية" مثلاً استطاع تفسير العديد من التراكيب النحوية في القرآن الكريم من خلال ربطها بسياقاتها، وأقرّ بأن الإعراب علم قائم على المعاني، ويورد مثالاً لذلك هو قوله تعالى: ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ** ﴾(يس: 37)، يقول السامرائي إنّ الليل مغطى بالنهار، ذلك أنّه جعل اللّيل كالشاة ونحوها، والنهار كالجلد الذي يغطيها ويعلوها، فيُسْلَخُ منه النهار، كما

1 الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر ، ص67.

2 سلوم تامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، (1983م)،ص295.

3 الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر ص131.

4 الزمخشري محمود بن عمر، الكشّاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص224.

يُسْلَخُ الجلد فيكون تحته الليل، والليل أصلاً والنهار غلافًا له أو جلدًا"[1]. ثم يشير إلى ألفاظ الاستعارة فيرى أن التعبير بالمضارع (نَسْلُخُ) هو الأنسب لواقع الليل والنهار، يدل على الاستمرار والتجدد، والليل والنهار كذلك مستمران متجددان يخلف أحدهما الآخر، وقال (نَسْلَخُ) بإسناد الفعل إلى نفسه، ولم يقل (يَسْلَخُ) ليدل على أنّ ذلك يجرى بفعل الله تعالى وقدرته، ولم يحصل من دون تدبير مدبر، ولا فعل فاعل، ويكون ذلك آية على توحيد الله سبحانه وقدرته، ومعنى (مظلمون) هو الدخول في الظلام، فتأمل كيف قال (فإذا هم مظلمون) ولم يقل الأرض مظلمة؛ ليبين أثر ذلك فيهم وفي حياتهم فهم الذين يدخلون في الظلام بعد النهار، ثم تأمل (مظلمون) كيف عبّر بالاسم الذي يدل على الثبوت، وهو الأنسب لحالة الليل كما دلت على ذلك الاستعارة، ثم تأمل كيف أتى التعبير مع النهار بالمضارع (نسلخُ) الذي يدل على التجديد، وهو الأنسب لحالة النهار المتغيرة، وهذا تأكيد لما دلت عليه الاستعارة. وهذا ما يوحي بعلاقة الوظائف النحوية بالمعاني والدلالات، ودورها في رسم الصورة البلاغية والجمالية للتعبير، والمساهمة في تحقيق أغراض بلاغية متنوعة وخاصة منها غرض التوكيد للمعاني؛ فتكون الألفاظ بدورها خدمًا للمعاني، حيث ساهم التركيب النحوي لهذه الصورة الاستعارية في تقوية المعنى وتأكيده وذلك على النحو الآتي:

- اعتماد اسمية الجملة بدل فعليتها جعل المعنى يحقق التوكيد والثبوت.
- تقديم عبارة (آية لهم) الواقعة خبر مقدم، أعطى للآية عنصر التشويق والاهتمام بسماع مضمون الآية.
- جعل لفظ (الليل) معرفة فيه دلالة على التخصيص والتحديد للمعنى بدقة.
- التركيب الإسنادي في جملة (نسلخُ) حيث أسند فعل السّلخ إلى الفاعل (الله جلّ جلاله) أضفى على المعنى دلالة الاختصاص بالفعل وانفرد به.
- تقديم شبه الجملة (منه) جعل الفعل مخصصاً ومحدداً بدقة ببيان مصدره (أي من أين يسلخ النهار).

6. خاتمة:

كان هذا بحثا قصيرا حول وظيفة الاستعارة في توكيد معاني الخطاب القرآني، وقد توصلنا في نهايته إلى نتائج عدّة يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- أنّ الخطاب القرآني حافل بالاستعارات بكل أنواعها لأنها تتسم بالكمال في حمل المعاني، وتعكس بلاغة الكلام الإلهي المعجز مع مراعاة لكل المواقف والمقامات متجاوزة القدرة البشرية.
- أنّ معرفة الاستعارة تستدعي ربطها بنظريات متعددة منها الأسلوبية والنحوية وغيرها، فهي تضم علوما مختلفة كعلم النحو وعلم الدلالة وعلم الأسلوب رغم أنّها تندرج ضمن علم البلاغة.
- أنّ الاستعارة تمثل وجها من أوجه الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني إلى جانب الإعجاز النحوي والنصي والأسلوبي.
- أنّ الاستعارة من أهمّ الألوان البيانية وأكثرها قدرة على حمل المعاني وتجسيدها وتشخيصها وهذا ما أعطاها البعد الحجاجي وخاصية التوكيد للمعاني.

1 السّامرائي فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، ج2، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، (2004م)، ص132.

- أنّ الاستعارة عملية لغوية تعتمد على التصوير الذهني والتمثيل الفني الذي أساسه العقل البشري وهو ما يمدها بالطاقة الحجاجية التوكيدية.
- أنّ الاستعارة تقوم على التشبيه إلا أنها تتعداه، فهي وسيلة لاختزال المعاني الكثيرة في عبارة وجيزة، وتمثيل معان لا حصر لها.
- أنّ الاستعارة يتضافر فيها التركيب النحوي مع الوجه البلاغي لغرض تقوية درجة التوكيد للمعاني .
- أنّ الاستعارة تعتمد على التصوير والتمثيل للمعاني وتحريك الحواس، ما جعلها تحمل كثيرا من الدلالات والأعراض النفسية، وتصورها بمؤشر عقلي وفق مقتضيات المواقف والمقامات بوجه بلاغي راقي شكلاً ومضموناً.
- أنّ الاستعارة في الخطاب القرآني يتكامل فيها التعبير البلاغي مع التركيب النحوي، فيكون نظمها بأحسن الطرق وأكثرها دقّة لتخدم الدلالة في جوانب دينية وأخلاقية وتربوية وغيرها وتحقق الإقناع إلى جانب الإمتاع.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن قيّم الجوزيه شمس الدين أبو عبد الله محمد، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان،، تح: محمد أمين الخانجي، دار النشر السعادة، مصر، ط1، (1909 م).

2-ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت، ط1، (1957م)

3- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ، تهذيب اللغة،ج:3، تح: الدكتور عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ط1، (1967م).

4-أرسطو طاليس فن الشعر، تر: شكري محمد عياد، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، ط1(1967م).

5-أعراب لحبيب، الحجاج والاستدلال الحجاجي"عناصر استقصاء نظري"ضمن كتاب"الحجاج مفهومه ومجالاته"، ج3، إعداد وتقديم :حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن.ط1، (2010م).

6-بن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار النشر التونسية، تونس، ط1، (1997م).

7- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: خفاجي محمد عبد المنعم، مكتبة القاهرة، مصر، (1980م).

8-الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، ط1، (1991م).

9-الزمخشري محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، الكشّاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج4، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3 (2009م).

10- السّامرائي فاضل صالح، على طريق التفسير البياني،ج2،جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ، (2004م).

11- السّكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1998م).

12- سلوم تامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار ، اللاذقية، سوريا، ط1، (1983م).

13- الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4،(2007م).

14- الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، مج:1، دار الصابوني للطباعة والنشر، مدينة نصر، مصر، ط2، (1997م) .

15- الصاوي أحمد عبد السّيد، فنّ الاستعارة، دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، (1979م).

16- الصاوي أحمد عبد السّيد، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنّقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، منشأة المعارف، الإسكندرية، (1988م).
17- الطبري أبو جعفر ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مج:1، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد المنعم مذكور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط5، (2012م).
18- عتيق عبد العزيز، علم البيان في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، (1985م).
19- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، (2014م).
20- العلوي يحي بن حمزة بن على بن إبراهيم الحسيني العلوي، الطراز في أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 (2003م).
21- القزويني أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود، الإيضاح في علوم البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (2002م).
22- قطب سيد، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، مصر،ط8، (1975م).
23- لمجادي سورية، دلالات الاستعارة في شعر محمد عفيفي مطر، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة وهران، (2010م/2011م)
24- مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد،ج1،ط1، (1983م).
25- مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،(1985م).
26- الميداني عبد الرحمان حسن، البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1(1996م).

References :

1-Ibn Qayyim al-Jawzīyah Shams al-Dīn Abū ʻAbd Allāh Muḥammad, al-Fawā'id al-mushawwiq ilá ʻulūm al-Qur'ān wa-ʻulūm al-Bayān,, tḥ : Muḥammad Amīn al-Khānjī, Dār al-Nashr al-Saʻādah, Miṣr, Ṭ1, (1909 m).
2-Ibn manẓūr Jamāl al-Dīn Abū al-Faḍl Muḥammad ibn Mukarram ibn ʻAlī ibn Aḥmad, Lisān al-ʻArab, j10, Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ1, (1957m).
3-Abū Manṣūr Muḥammad ibn Aḥmad al-Azharī,, Tahdhīb al-lughah, J : 3, tḥ : al-Duktūr ʻAbd al-Ḥalīm al-Najjār, al-Dār al-Miṣrīyah lil-Ta'līf wa-al-Tarjamah, al-Qāhirah Ṭ1, (1967m).
4-Aristṭū ṭālys Fann al-shiʻr, tara : Shukrī Muḥammad ʻAyyād, Dār al-Kātib al-ʻArabī, al-Qāhirah, Miṣr, Ṭ1 (1967m).
5-Aʻrāb li-Ḥabīb, al-Ḥajjāj wālāstdlāl al-Ḥajjājī "ʻAnāṣir astqṣā' naẓarī" ḍmnktāb "al-Ḥajjāj mafhūmuhu wa-majālātuh", j3, iʻdād wa-taqdīm : Ḥāfiẓ Ismāʻīl ʻAlawī, ʻĀlam al-Kutub al-ḥadīth, al-Urdun. Ṭ1, (2010m).
6-ibn ʻĀshūr Muḥammad al-Ṭāhir, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, Dār al-Nashr al-Tūnisīyah, Tūnis, Ṭ1, (1997m).
7-al-Jurjānī ʻAbd al-Qāhir, Dalā'il al-iʻjāz, tḥ : Khafājī Muḥammad ʻAbd al-Munʻim, Maktabat al-Qāhirah, Miṣr, (1980m).
8-al-Jurjānī ʻAbd al-Qāhir, Asrār al-balāghah, qara'ahu wʻllq ʻalayhi Maḥmūd Muḥammad Shākir, Dār al-madanī Jiddah, Ṭ1, (1991m).
9-al-Zamakhsharī Maḥmūd ibn ʻUmar ibn Muḥammad ibn Aḥmad al-Khuwārizmī, alkshshāf fī ḥaqā'iq al-tanzīl wa-ʻuyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta'wīl, j4, Dār al-Maʻrifah, Bayrūt, Lubnān, ṭ3 (2009M).
10-alssāmrā'y Fāḍil Ṣāliḥ, ʻalá ṭarīq al-tafsīr al-bayānī, j2, Jāmiʻat al-Shāriqah, al-Imārāt al-ʻArabīyah al-Muttaḥidah, (2004m).
11-alsskāky Yūsuf ibn Abī Bakr ibn Muḥammad ibn ʻAlī, Miftāḥ al-ʻUlūm, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Lubnān, Ṭ1, (1998M).
12-Sallūm Tāmir, Naẓarīyat al-lughah wa-al-jamāl fī al-naqd al-ʻArabī, Dār al-Ḥiwār, al-Lādhiqīyah, Sūriyā, Ṭ1, (1983m).

13-al-Shawkānī Muḥammad ibn ʻAlī ibn Muḥammad, Fatḥ al-qadīr al-Jāmiʻ bayna Fannī al-riwāyah wa-al-dirāyah min ʻilm al-tafsīr, Dār al-Maʻrifah, Bayrūt, Lubnān, ṭ4, (2007m).
14-al-Ṣābūnī Muḥammad ʻAlī, Ṣafwat al-tafāsīr, Majj : 1, Dār al-Ṣābūnī lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, Madīnat Naṣr, Miṣr, ṭ2, (1997m).
15-al-Ṣāwī Aḥmad ʻAbd alssyd, fnn al-Istiʻārah, dirāsah taḥlīlīyah fī al-balāghah wa-al-naqd maʻa al-taṭbīq ʻalá al-adab al-Jāhilī, al-Hayʼah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, al-Iskandarīyah, (1979m).
16-al-Ṣāwī Aḥmad ʻAbd alssyd, Mafhūm al-Istiʻārah fī Buḥūth al-lughawīyīn wālnnqād wa-al-balāghīyīn, dirāsah tārīkhīyah fannīyah, Munshaʼat al-Maʻārif, al-Iskandarīyah, (1988m).
17-al-Ṭabarī Abū Jaʻfar Ibn Jarīr al-Ṭabarī, Jāmiʻ al-Bayān ʻan Taʼwīl Ayy al-Qurʼān, Majj : 1, ishrāf wa-taqdīm ʻAbd al-Ḥamīd ʻAbd al-Munʻim Madhkūr, Dār al-Salām lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ wa-al-Tarjamah, ṭ5, (2012m).
18-ʻAtīq ʻAbd al-ʻAzīz, ʻilm al-Bayān fī al-balāghah al-ʻArabīyah, Dār al-Nahḍah al-ʻArabīyah, Bayrūt, dṭ, (1985m).
19-ʻAṭīyah Sulaymān Aḥmad, al-Istiʻārah al-Qurʼānīyah fī ḍawʼ al-naẓarīyah al-ʻirfānīyah, al-Akādīmīyah al-ḥadīthah lil-Kitāb al-Jāmiʻī, al-Qāhirah, Miṣr, (2014m).
20-al-ʻAlawī Yaḥyá ibn Ḥamzah ibn ʻalá ibn Ibrāhīm al-Ḥusaynī al-ʻAlawī, al-Ṭirāz fī Asrār al-balāghah wa-ʻulūm ḥaqāʼiq al-iʻjāz, j3, al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, Bayrūt, Ṭ1 (2003m).
21-al-Qazwīnī Abū ʻAbd Allāh Zakarīyā ibn Muḥammad ibn Maḥmūd, al-Īḍāḥ fī ʻulūm al-Bayān wa-al-maʻānī wa-al-badīʻ, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Lubnān, Ṭ1, (2002M).
22-Quṭb Sayyid, al-Taṣwīr al-Fannī fī al-Qurʼān, Dār al-Maʻārif, Miṣr, ṭ8, (1975m).
23-lmjādy Sūrīyah, dalālāt al-Istiʻārah fī shiʻr Muḥammad ʻAfīfī Maṭar, Risālat muqaddimah li-nayl shahādat mājistīr, Jāmiʻat Wahrān, (2010m / 2011M).
24-Maṭlūb Aḥmad, Muʻjam al-muṣṭalaḥāt al-balāghīyah wa-taṭawwuruhā, al-Majmaʻ al-ʻIlmī al-ʻIrāqī, Baghdād, j1, Ṭ1, (1983m).
25-Miftāḥ Muḥammad, taḥlīl al-khiṭāb al-shiʻrī, istirātījīyah al-Tanāṣṣ, Dār al-Tanwīr lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr, Bayrūt, Lubnān, Ṭ1, (1985m).
26-al-Maydānī ʻAbd al-Raḥmān Ḥasan, al-balāghah al-ʻArabīyah asāsuhā wa-ʻulūmihā wa-funūnuhā, Dār al-Qalam lil-Ṭibāʻah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Dimashq, Ṭ1 (1996m).